

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوزار الآيات

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتقون أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأوتاهم أولو الآيات

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ - ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

مسألة النساء

(مضافاً تربية النساء الاستقلالية في الافرنج)

(تمهيد) للامم طريقان تسير عليهما في حياتها الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين . ولا يعرف التاريخ أمة من الامم ارتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد صرخوا من باب النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتقادية والادبية والعملية في طريق مدنيتهم مقررین أنه لا يعتمد في شؤون الحياة الاعلى النظر والتجربة مباحاً دون ما عداها فاشتهر في العالم أن الافرنج صرخوا من الدين في الواقع وإنما ينصرونه ويتمصبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا الى فئة حضارتهم هذه الا بهذا المروق والاستدبار . وهذه شبهة أو حجة على بطلان النصرانية اذا كان الدين كما يقول المسلمون سائماً الى صلاح

الدارين، وسعادة الحياتين ، ولكنتا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاص بطالب الدار الآخرة ومراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها. وقد خدع بمثل هذه الأقوال والأحوال بعض المسامحين الجغرافيين الذين لا يعرفون من الاسلام الا بعض ما يرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لا يرتقون الا بمثل ما ارتقى به الأفرنج من استتبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم . يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفي تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفي آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الأفرنج باستتبار الدين ناجحون ، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون ، ولو أبصر والراوا ان هذا الخسار ، إنما تولد من الروق والاستتبار . وان قياسهم إنما هو قياس الضد على الضد ، والله الأمر من قبل ومن بعد ،

لقد سبح القلم الى ما ليس من موضوعنا في هذا التمهيد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الأحياء في هذه الارض لم يستغن ولن يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولدين وثي خبير له من ترك التسدين بالرة . وأن كل أصول الارتقاء التي بني عليها عمل مستدبري النصرانية في أوروبا مستفادة من الدين إما من بقايا دينهم تقليداً وإماماً وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الأفرنجية بالتربية والتعليم ان يترووا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجمواها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة المليية التي كانوا بها أمة ثلاث تكون التربية مفرقة لاجتماعهم ، مزرقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حقه بظلمه . وأنه

يجب اقامة ماقرره الدين على سبيل القطع والتروي والاجتهاد فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجها . وان أكبر العبر ماوقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هداية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفماً عظيماً في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لا بد ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الاشارة اليه آنفاً

مسألة النساء : وبعدهذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلمن وكيف يربين ليكن عوناً للرجال على الارتقاء ومجارة الامم الحية .

ان طلاب تغير سير الامم بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوروبا وارتقاءها فمنهم من يطلب محاكاتها أو مجاراتها وهم الحكماء وبعض العقلاء ومنهم من يستحب تقليدها نظراً أو تزلفاً وهم الذين أخذوا قشوراً من العلوم العصرية في مدارس أوروبا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدينة الأوربية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبة الأولى الاستانة ومصر في طاب هذا التحول لأنها أم هذه المدينة الجديدة في الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكترا بحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيين ولذلك نورد لهم ما استفدناه بالندا كرة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء ليملموا ان التروي الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لا بد منه . ثم نتقل الى الحكم بضرورة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية

القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تكن عن الهداية التي جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ منذ ثلاثة عشر قرناً ونيفاً الغرض من التربية والتعليم سعادة الأمة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وإنما يطالب الهناء والشرف للحي النامي فإذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي إلى قلة النسل وعدم نموه فتلك هي الطريقة السوءى وسلوكها هو الجناية الكبرى على البشر، وتربية الإناث تربية استقلالية كما يترتب الذكر سواء مغلٍ بوظيفة النساء الفطرية ومؤد إلى تلك النتيجة المخيفة - قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

إنجبت هذه التربية في أكثر النتائج الآتية (١) اعتماد النساء على أنفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجيههن إلى الأعمال الخارجية أي التي تكون خارج البيوت وتنافي تدير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرءة وقال بعض أطباء الإنكليز إنه عرف بالاختيار أن نحو أربعين في المئة من النساء كذلك . وقال بعض أطباء فرنسا إن إناث البشر كإناث سائر الحيوانات الأصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال إلا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وإن ما عدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الأفراد مرضاً من نوع (المستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله .

(٤) أن أكثر النساء المتعلقات المتربات يكرهن الأمومة إما لما في الحبل والولادة، من المشقة والتعب وإما لا يضطرارهن إلى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة إذا هن أرضعن أولادهن والبيوت صارت في نظرهن كالسجون لتعودهن على كثرة الخروج . وإما لا يحتاجهن في ذلك إلى

نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضلن التوسع بها في الترف . ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي في جعل الانسان ملكوتيا فيقتل ان الحبل والولادة من صفات الحيوانات فينبغي الترفع عنه . وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرقى من سائر الانواع في جنسه . وليس في استطاعة الخيال أن يخرج عن كونه حيوانا وان استند الى الفلسفة او الدين

(٥) انه قد فشا في النساء تناول الادوية لمنع الملقوق وللإسقاط بعد تحققة
(٦) ان البنت قلما تزوج في أول طور الاستعداد للأمومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الاعضاء في طور الخدانة تكون مرنة تتمدد بسهولة فاذا كبر السن قلت هذه المرونة المسهلة للولادة . ويزيد العسر عسراً ضمف الاجسام بالإفراط في الترف والنعيم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكوفورم وبمساعدة الاطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهي بسلامة من مرض خطر فهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر وانضيف اليها نتيجتين عامتين في النصرارى وهما

(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصرارى بان تدفع لمن ترغب في الزواج به مهراً وكثيراً ما يعسر عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البغاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة في الفضائل الدينية عند اكثر النصرارى . فهذه سبع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم . وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية . ولما كانت فرنساي السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره . وستتبعها انكثرا في ذلك

بمد سنين ، وإن خفي ذلك على المعجبين تربيتها من الشرقيين
 وإذا التفتنا الى جانب رجال نراهم في انكثرا يأخذون إخذ الذين
 سبقوم بهذه المدينة الفاسقة في فرنسا فاكثر الشبان يرغبون عن الزواج
 بالمسافة والمخادنة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الاربعين سنة أو
 يجاوزها ثم هو لا يود أن يكون له ولد كثير وإنما يتغني وليا يرث ماله
 ويحفظ اسم بيته ان كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثان
 يخلف الاول اذا هو درج فإن عزربثت احتمله وكره كرها شديدا ان
 يزيد ولده عن عدد « الاقاييم الثلاثة » ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا
 كانت ودودا ولودا

ولا تحسبن هذا الصياح والمويل من ساسة فرنسا وبعض كتابها في
 الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الاكثرون يرون ذلك شرطا في
 سعادة الامة كما يرونه شرطا في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاعف
 سكانها في مدة قريبة لا تلبث أن تضيق بها بلادها وتضطر الى المهاجرة الى
 بلاد دونها لتعمرها وتغالب اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار
 الخربة بالدار العاصرة . ويقولون إن الدولة لا تشكو من قلة النسل حبا في
 الامة ولكن طمعا في مباراة الدول المستعمرة فالسبب في ذلك طمع الملك
 الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وإنما يبذلون ايضا أموالها
 ودماها . لهذا يمسر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي
 القاتل مادامت على هذه الطريقة في التربية والتعليم وفساد العقيدة
 وحرية الفسق والفجور

بني علينا ان نلتفت لفتة نالمة الى البيوت لننظر كيف يعيش الزوجان

الاذان نظراً لها منفردين او وصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم المفتونون بمدينة أوروبا ان السعادة المتزايدة ، ونعيم المعيشة الزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم المالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البليغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه وصف منتزع من البيوت الاوروبية فمنهم من يتنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكتاب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وانه لا ميل اليها فإنا الآن نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذي لا مصرية فيه ان هناء المعيشة الزوجية لا يتحقق الا بتحقق الأمور (أحدها) ادعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة وصرؤسة له . ولا تدعن في نفسها هذا الإذعان الا اذا تربت عليه واعتقدته ديناً (ثانيها) ثقة لزوجين بالاختصاص بأن يعتقد الرجل انه لا يشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لا يختلف الى غيرها من خدن أو بنين . وهذان الأمران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب . ولا استثنى من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد الشرق وأكثرها فساداً في البيوت (العائلات) . (ثالثها) المشاكلة في الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الأمر ظاهر في الغربيين وهو في الشرقيين كذلك في الغالب . ومن غير الغالب بعض المتعلمين من المصريين فانهم لا يجدون في النساء من يقاربهن في أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان لرغبتهم تأثيراً كبيراً في

الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسميها . والعمل على هذا وان أنكره
بالقول الا كثرون

نعم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال في الافكار والاخلاق
والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها
تعليم البنات حتى لا يتسع مسافة الخلف بين الصنفين ولما في التربية والتعليم
من الفوائد الكثيرة ولا يمكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاروبيين
قدما بقدم وان لا نحتذي شاكلهم حذو القذة للقذة بل علينا ان نتوقى من
أول السير كل ما رأينا سبي العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها
تربية الاتى تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما تعلمه الذكور فهذا ان
الامر ان ينافيان إذعائها لسيادة الرجل باطنا وظاهراً ويفضآن اليها ملازمة
البيوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسب
مقتض كما أنهما يرضانها لتدنيس عرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو
عند الرجل ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول في التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن
أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادئ
العلوم المدرسية كلها وأما ما رواء هذا فيجب ان لا يتوسعن الا فيما يلزم
للبيوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والحياطة
فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروي في تربية البنات وتعليمهن وان لا تقلد
فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم
والتجربة في أوروبا عدة قرون ان كل ما خالفوا فيه الاسلام كان ضاراً فقد
رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يمدونه من اضر الامور في الاجماع البشري

فصاروا يمدونه مثلنا من ضروراته. وتبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضا ووجد من نسايم داعيات اليه لاسما في بلاد الانكليز حيث زيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرائد انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) وانا ان نقبر أن تأييد سير العمران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لا وضعا من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون. وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

باب رد التبريات عمه الاسلام

(أحياء الإسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقنطف الاغر قرظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريره التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب مورداً انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب، وها نحن أولاء نوافيه بما يجب بعد اراد السؤال أو الانتقاد. قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الي من نسب اليه: «وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب. قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه:

«يبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد»